رسول الله ﷺ علمني

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص

المحاضرة الحادية عشر

ملخص 11

خشبة المقترض

عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى -فدفع إليه الألف دينار على أجل مسمى- فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها ليقدم عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفتُ من فلانٍ ألف دينارٍ فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بذلك، وإني جَهَدْتُ أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني استودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك -يعني: مع هذا الإجراء- يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه -على حسب الموعد- ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قَدِم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار -أخرى- فقال: والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركبٍ لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشداً).

نلحظ أنه رجل من بنى إسرائيل فعلى رغم ما فيهم إلا أنهم كانوا أصحاب كرامات وعجائب وكنا قد ذكرنا أيضا قصة عجوز بنى

إسرائيل،فمن الواضح أنهم كانوا أقوياء فأنت بذلك تنافس أزمنة ليس فقط الصحابة والتابعين ..

هذا التاجر ذهب ليقترض ألف دينار ما يعادل حالياً أربعة كيلو ذهب أى ثمانية مليون جنية من غير شهيد ولا كفيل وفى رحلة مركب غير مأمونة العواقب فمن الواضح أن هذان الشخصين كانوا يعلمون بصلاح بعضهم وكل منهم واثق فى صلاح الآخر لذلك لا تأخذ هذه القصة بسذاجة وتطبقها مع شخص غير أمين لأن الأصل هو توثيق الدين وأخذ كل الضمانات وهذا مع أى شخص لا تعرفه، لكن دين الصالحين مختلف قال الله عزوجل ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أى بينكم درجة أمان عالية فمن الممكن أن نتساهل فى التوثيق وهذا ما يتضح فى أصحاب هذه القصة أنهم صالحين ويعرف كل منهم الآخر فهنا درجة الأمان كانت عالية لكن التعامل مع الناس بشكل عام ليس على درجة واحدة.

يجب أن نعلم أن القرض مخاطرة عالية جدا وذلك:-

- لأنه ليس تجارة ولا يترتب عليه أى نوع من الأرباح الدنيوية والقرض مهدد أنه لا يعود (معسر،حادثة، ....).
- القرض فى المنظور الإسلامى ليس تجارة ولكنه عمل صالح من الممكن أن يعود ومن الممكن أن لايعود ومن الممكن أن يعود نصفه أو قيمته تقل وليس لك فى مقابله إلا الأجر.

فمثلا الشخص الذى أقرضته إذا كان معسر لا تستطيع استعجاله ولو استمر عمره على ذلك للأبد وحتى لو أخذت عليه الضمانات فإذا كان معسر لا يجوز لك كل ذلك ولايجوز أن ترفع عليه قضية أما إذا كان هذا الشخص مماطل ظالم فافعل كل ما تريده معه أما إذا كان معسر فلا يجوز.

الأسباب التى تدفع المرء ليقرض غيره:

- كلما كان العمل أشق على النفس كلما كان الأجر أعلى.
- النبى صلى الله عليه وسلم يقول إن القرض يجرى شرط الصدقة أى كأنك إن أقرضت شخص مال فكأنك تصدقت بنصف هذا المال فمعناه أنه عاد كامل فى نفس الوقت بالإضافة أنك بذلك تصدقت بنصفه.
- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين إلا كان كصدقتها مرة».
- قال النبى صلى الله عليه وسلم «مَن أنظرَ مُعسِرًا فله كلَّ يومٍ مثلِه صَدقةٌ . فقُلتُ : يا رسولَ اللهِ سمعتُكَ تقولُ : مَن أنظرَ مُعسرًا فله كلَّ يومٍ مِثلَيْهِ صدقةٌ . قال لهُ : كلَّ يومٍ مثلَهُ صدقةً قبلَ أن يَحلَّ الدينُ ، فإذا حلَّ فأنظَرَ فله كلَّ يومٍ مِثلَيْه صدَقةٌ».

يجب على المرء أن يستشعر كل هذه الأجور ، بالطبع الأمر يشق على النفوس ولكن ما يرطب على القلب هو احتساب الأجر ويجب على المقرض أن يضع فى احتماله ٥٠٪ أن القرض لن يعود وإذا كان لا يستطيع القرض فلا يقرض لأن هذا الأمر ينتهى بمشاكل كثيرة وقطيعة بين الإخوة.

المُقرِض يجب أن يعلم أولاً أن الإقراض عمل صالح لا يبتغى به إلا الله سبحانه وتعالى والأجر كما يجب أن يعلم أنه بنسبة ٥٠٪ لن يعود المال ويكون مستعد نفسيًا لذلك.

كما هو ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالأجر الكبير لمجرد صبر المُقرض عند تأخر المال عليه فكل هذا الأجر الكبير والمال عائد ولكنه

تأخر قليلا فتخيل معى إذا تركته لوجه الله ولم تأخذ منه شىء هذا أجره كبير عند الله ولم يتحدث الله عنها ولا وصفها لأننا لن نستوعبها.
صلاة الجنازة أجرها كبير جدا مثل جبل أحد وذلك لأن النفوس تبخل بالوقت ولولا الأجر لتركها الناس فإذا استثمرنا هذه القاعدة نبحث عن الأعمال الشاقة على النفوس وفى الأغلب هذه الأعمال ستكون فى شىء تحبه النفس مثل الوجاهة،الوقت ...

نصائح للشخص المقترض:

- لا تقترض لشىء ليس له قيمة أو من الكماليات.
- يجب أن تبذل كل ما فى وسعك لترد هذا المال.

عندما تفعل ذلك سوف تشجع الصالحين على الإقراض, لأن النماذج السلبية فى السداد هى التى منعت الصالحين من الاقراض.

فى قصة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ربيعة عندما أراد سعد بن ربيعة أن يقرض عبد الرحمن نصف ماله ويطلق له إحدى زوجاته فرفض عبد الرحمن بن عوف وقال له دلنى على السوق فإذا سألك أحدهم أين أمثال سعد قل له أين أمثال عبد الرحمن بن عوف ؟! عندما قل من يسدد برجولة قل من يقرض برجولة.

- ن حق المُقرِض أن يأتى بشهيد أو كفيل حتى وإن كان واثقا فى المقترض ومن حقك التوثيق والتوثيق يكون بالكتابة أو بالشهود ومن الممكن شهداء من غير كتابة وهناك الرهن وهو من أضمن الضمانات أخذ شىء من المقترض فى حالة أنه لم يرد المال يأخذ المقترض هذا الضمان.

ثلاثة لا تُستجاب دعوتهم منهم رجل أعطى سفيهاً مالاً هنا الدعوة لا تقبل لأن السفية لا ينبغى أن تعطيه مال وإذا سلفته ولم تأخذ عليه شهداء ولم

يرد لك المال ودعوت عليه فلن يُقبل منك لأنك مقصر فلا داعى للشهامة لكى لا تندم عليها.

نلحظ أن الرجل وافق أن يكون الله كفيله وهذا ما جعل المقترض حريص على أن المال يصل له وللأسف نحن فى واقعنا اليوم نأخذ الأيمان جنة ، يحلف أنه سيرد المال ثم يشعر أنه فى حل من الإلتزام رغم أنه حلف بالله وهذا سوف يحاسبه الله يوم القيامة لأنه خدع الناس بإسم الله فماذا ستقول لله عندما يقول لك أنك استخدمت اسمه لتخدع به الناس تخيلت حجم العقوبة ؟! قديما كان أفسد الناس عندما يكون الله شهيده كان شىء ثقيل جدا عليهم حتى فى قصة إخوة يوسف عليهم السلام حسدوه وحاولوا قتله ولكن عندما ضاع بنيامين قالوا:

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

وهذه فائدة فرعية نتعلمها أن الشخص السىء قد لا يكون سىء فى كل أحواله فهم رغم ما فيهم إلا أنهم يعظمون الله لذلك عندما نتعامل مع شخص ونرى فيه بعض الصفات الحسنة يجب أن نستثمر هذه الصفات.

إذا كان هذا هم رجل فى دين رجل فالقاعدة تقول أن دين الله عزوجل أحق بالوفاء فمثلا عليك زكاة مال لم تؤديها وياليتها دين الله فقط بل دين الفقراء أيضا كلهم سيأخذوا من حسناتك يوم القيامة، عليك أيام صيام من رمضان كنت مريض ولم تصوم فمتى سوف تصومه؟ كانت حائض فى رمضان ولم تصوم فمتى سوف تصوم؟ أين دين الله؟

الصلوات التى كانت عليك قبل أيام إلتزامك بالطبع هى مسألة خلافية بين العلماء لكن إذا كان لديك وقت وطاقة أقضى ما عليك واخرج من خلاف العلماء أو حتى أكثر من السنن وهذا دين الله وفاءه إما بالقضاء أو الإكثار من السنن.

إياك أن تأخذ من على القرض نفع معنوى أو خفى فبعض الناس لا يأخذ نفع فى القرض المباشر ولكن يستثمره فى منافع أخرى مثلا إذا كان المقترض صاحب محل ملابس فيذهب إليه ويأخذ منه بمبلغ مادى أقل ويضع المقترض فى وضع محرج لأنه أقرضه فهو بذلك انتفع من القرض ولكن بطريقة غير مباشرة فالإنسان يحترز من ذلك...

الله عزوجل إذا استُودع شيئا حفظه فأى شىء تخاف عليه قل اللهم إنى أستودعتك هذا الشىء الفلانى وإذا خفت على دينك قل اللهم إنى أستودعتك دينى وهذا ما فعله الرجل استودع المال فتخيل البحر ملئ بالأمواج والدومات ورياح كان من الممكن أن تأخذها لمكان آخر وكان من الممكن أن توصل لصاحب المال بعد أن يغادر البحر أو تصل له ولا يأخذها أو يحرقها بدون أن يقطعها فكم هذا الإلهام والتدبير عجيب وهنا نقول تخيل لو أنك أستودعت الله دينك والبحر هو الفتن والشهوات والشبهات والشاطئ هو القيامة أو الخاتمة ونزلت فى الحياة وواجهت كل شىء والأسباب الذى أخذتها فى حفظ دينك لا تكفى والفتن أكبر بكثير من الذى معك فإنك عندما تستودع الله سيجعل الله هذه الأسباب تفعل معك مفعول مضاعف.

الطيور على أشكالها تقع لما كان هذا الشخص أمين وقع مع أمين فإذا أردت مثال للمعاملات المادية ابدأ بنفسك أولا.

كن أميناً ،كن تقياً ،لو أنك ترى أن الدنيا كلها شر وسواد راجع نفسك لأن الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات راجع نفسك أنت تحتاج لإصلاح نفسك كذلك المسألة فى الزواج فإذا كنت تريد شىء معين حققه فيك أولاً وتوكل على الله وستجده فى الطرف الآخر.

التوكل على الله هو الأخذ بالأسباب مع عدم الثقة بها ومع كمال الثقة فى الله عزوجل فإذا اختل شىء من ذلك فلن يكون توكلاً سليماً فإذا لم تأخذ بالأسباب فأنت متكل وإذا اعتقدت فى الأسباب فهذا خلل فى التوحيد.

التوكل على الله عزوجل درجات وأسهل نوع هو عند إنعدام الأسباب أصلا لأنه لا يوجد شيء تتعلق به وهناك نوع أصعب منه وهو التوكل على الله مع وجود الأسباب وهذا صعب للغاية لأن القلب قد يميل فى أى لحظة لأى سبب والأصعب من ذلك التوكل على الله مع إنعدام الأسباب بعد وفرتها أى تكون معك جميع الأسباب ثم تختفى فجأة.

أعلى توكل حصل فى التاريخ توكل موسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالنبى أخذ كمية أسباب فى الهجرة وفى آخر لحظة يجد الكفار فوق الغار ثم يقول ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! وسيدنا موسى صلى الله عليه وسلم عندما قال له أصحابه إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهيدن فالتوكل على الله أمر مهم جدا يعنى لا تقول توكلت على الله وعلى فلان ولا على الله ثم فلان وإنما تقول توكلت على الله وحده فقط.

تخيل معى أن الإنسان يتوكل على الله عزوجل فى حفظ دينه وأن يحفظه من الأعداء والرزق والفرج وجميع الأمور وأعظم نوع من التوكل هو التوكل على الله فى الهداية أن يهديك الله دائماً

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

الإنسان ينبغى أن يُعمل قوة التوكل فى كل أحواله ولا شك أنه لابد أن يجد ذلك عند الله.

الذى يريد أداء ما عليه من مال يؤدى الله عزوجل عنه حتى لو أنه مات ولم يسدد الله يرضى عنه خصمه يوم القيامة ولا يأخذ من حسناته فإذا أقترضت اجعل نيتك صالحة فى السداد.

المعونة على قدر النية الصالحة وأن الأمانة سبب البركة لما كان هذا الرجل أمين من البداية وأراد التجارة وأداء الدين فالله أكرمه فكان خارج للتجارة وليس معه مال وعاد ومعه ما يسدد به دينه ومعه مايسدد به مرة

أخرى وشيء آخر أى أنه ربحت تجارته بنسبة ١٠٠٪ وأمانة المُقرض جعلت أموره تتيسر وماله يعود إليه .
حرص الرجل الأول على إخفاء الكرامة ومحاولة إخفاء العمل الصالح دلالة ضخمة على صلاحه.
نتعلم أنه من أراد أن يُذكر لا يُذكر ومن أراد أن لا يُذكر ذُكر ومن أخفى عمله لله أظهره الله ومن أظهر عمله يريد به وجه الناس سمع الله به ولو بعد حين فكن مخلصاً خفياً نقياً تقياً واعلم أن عملك مهما أختفى لن يضيع عند الله ومهما خبئته فإن الله سيجعل لك الأثر الطيب بين الناس والأثر الطيب عنده.

قصص أخرى متعلقة بهذه القصة:

أنَّ رجُلًا مِمَّن كانَ قبلَكُم كانَ لَهُ مَركبٌ في البحرِ ، وَكانَ يبيعُ الخَمرَ يشوبُهُ بالماءِ وَكانَ معَهُ في المركَبِ قِردٌ ينظرُ إلى ما يَفعلُ فلمَّا استَتَمَّ ما في المركبِ منَ الخمرِ أخذَ القردُ الكيسَ فصعِدَ الذُّروَةَ فجعلَ يرمي بدينارٍ في البَحرِ ودينارٍ في المركَبِ حتَّى جزَّأَهُ نِصفينِ ،، الخمر كان عندهم جائز ،، عدم أمانة هذا الرجل محقت له المال.
كان رجلٌ يداينُ الناسَ ، فكان يقولُ لفتَاهُ : إذا أتيتَ مُعْسِرًا فتجاوزْ عنه ، لعلَّ اللهَ أنْ يتجاوَزَ عنَّا ، فلَقِيَ اللهَ ، فتجاوَزَ عنْهُ.